فاتحة الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل قانون الطرب ضلعاً من دائرة العلوم الادبيَّة . واخرج من عيدان الاصول ثماراً ترتاض بها النفوس فتطير اليها بجناح النخوة العربية . حمداً يشنّف السماع به وزان الانغام المقابة المنزّهة عن الخالفة الزريَّة . يُفيض راحة الارواح على نادي العشَّاق في تلك الحاضرة الأُنسيَّة . فيُزلفهم الى أوج القرار التي لا يُسمع فيها جواب النَّوى ولا يحجزها ركبُ الحضار (١

امَّا بعد فانَّ فنَّ الطرب قد ضربتـه ايدي سباً في هذا العصر . وداست ابراجَهُ قدَمُ العـدَم . حتى صارت العربان كالاستمرار تهيم بين نجد والعراق واصفهان والعجم . وما زال كذلك لا ينشدُ لهُ حزام . ولا يُعمر لهُ ديوان ولا مقـام . حتَّى أوقفهُ الزمان بالحضرة الشهابيَّة . في بعض الديار الشاميَّة . فأخذ بيدهِ صَدرُ تلك الجـالس . الاميرُ محمَّد فارس . وامر هذا العبد ان يُعيد ما درس من تلك الطلول . فامتثل امرَهُ بالاجابة والقَبول . لانَّها صناعة يُتوصَّـل بها الى رضى الله في تسبيحهِ كما أمر نبيَّهُ داود عليهِ السلام . وقد اتَّخذتْ منها الاطباء تأثيراتٍ طبيعيَّة لاسترداد صحَّة الاجسام . ومن ثمَّ خضتُ في محبـة هذا البحر الزاخر . طامعاً في ادراك قرارهِ فلم اقع لهُ على آخر . هذا مع علمي بنفسي انني لست من فرسان هذا الميدان . الذين سبقوا ونالوا قصب الرهان . غير انني بتكرار البحث والمراجعة . قد تجلّى عليَّ ما شاء الله من ذلك فوضعتُ هذه الرسالة الجامعة . وسمَّيتها بالرسالة الشهابية . في الصناعة الموسيقية . وقد رتبتها الى مقدّمةٍ وبابين يشتملان على ثمانية عشر فصلاً . ثم اردفتهـا بخاتمةِ الكتاب . والله الهادي الى طريق الصواب

(١ قد ورد في هذه المقدّمة ألفاظ وكنايات عديدة اتخـذها المؤلف من اسماء الابراج والارباع وسيأتي شرحهـا بالتفصيل

المقدمة

في حقيقة الموسيقى (١

الموسيقى احد العلوم الرياضية وفرعٌ من العلم الطبيعي . وهي صناعة يُبحث فيها عن احوال النغمة من جهة تأليفها اللذيذ والنافر (٢ . وعن احوال الازمنة المشتملة بين النغمات من جهة الطول والقصر . فعُلم انها تتمّ بجزءين . الاول علم التأليف وهو اللحن . والثاني علم الايقاع وهو المسمّى بالاصول . والنغمة (٣ صوت يلبث زماناً على حدٍّ من الحدّة والثقل . واللحن ما تألف من نَغَماتٍ بعضها يعلو او يسفل عن بعض على نِسَبٍ معلومة . والنغمة للّحن كالاحرف للكلام . والايقاع هو الضابط للمنشدين معاً حتى لا يسبق احدهم الآخر . ولا يتأخر عنهُ . ويعبّرون عنهُ بقولهم «دُمْ وتَكْ»(١ وهو بمنزلة أجزاء العروض للشعر . مركّبًا من سببٍ خفيف وهو عبارة عن متحرّكٍ فساكن . وسببٍ ثقيل

١) ويروى ايضاً الموسيقي وهي كلمة يونانية μουσικὴ

٢) وربّ سائلٍ يسألنا هنا أليس في هذا التحديد شيء من المناقضة لانهُ اذا كانت الموسيقى علماً من العلوم الرياضية كيف صحّ حينئذٍ انتماؤها الى احدى الصنائع . فجوابنا على ذلك ان الموسيقى في حقيقة الامر هي صناعة بل احد تواضرّ الفنون السبعة كالتصوير مثلاً والهندسة ويشهد على ذلك واضع الرسالة نفسهُ اذ يسمّي الموسيقى الصناعة الموسيقية بيد انَّهُ قد كثر القول انها علم رياضي نظرًا للابحاث والمسائل الحسابيَّة التي تُضبَط وتُستقصى بها هذه الصناعة . وربما كانت هذه التسمية قد غلبت عند الاقدمين كما يظهر ذلك من تصانيف ارسطو وابن سينا وغيرهم من الفلاسفة حيث يُدرجون الموسيقى في جملة العلوم الرياضية

٣) النَّغْمة (والجمع نَغَمات ونَغَم) ما يُعبَّر عنهُ في اللغة الفرنسية بكلمة son musical او note وهي الصوت المتدرج تحت ضوابط الموسيقى بحسب ثقلهِ او حدَّتهِ او عدد اهتزازاتهِ فبهذا يختلف من الحس او الدويّ الذي لا يُعلم لهُ حدة ولا ثقل . الَّا بعد الفحص المدقَّق او بواسطة آلات خصوصية اكتشفها العلامة هلمهولتز (Helmholtz) وسماها المُرنّات (résonna-teurs) . اما تعريف المؤلف للنغمة فهو نفس تعريف القدماء فخصّ منهم بالذكر ابا نصر محمد الفارابي قال في كتاب الموسيقي : « وأعني بالنَّغَم الاصوات المختلفة في الحدَّة والثقل التي تُتخيَّل كلها ممتدة » وقال عبد القادر بن النبي (ويروى عبيّ وغنيّ وتغنّيّ) في كتاب مقاصد الالحان : « النغمة صوت واحد لابث زماناً ذا قدرٍ محسوس في الجسم الذي فيهِ يوجد »

٤) والاغلب في يونا تُمْ تَكْ . (راجع كتاب سفينة الملك للامام محمد شهاب الدين ورسالة روض المسرّات للشيخ عثمان الجندي شاعر العائلة الخديوية سابقًا) . ومما يتبين من سفينة الملك ان التعبير عن الايقاع بمثل هذين اللفظتين حديث العهد وانَّهما استُخرجتا عن كلمتي « دِنْ وطاع » . والله اعلم

وهو عبارة عن متحركين معاً

والصوت هو ما يحدث عن كل حركة اهتزازية بجسم رنان يحدث في الهواء ارتجاجاً يسري فيه الى بُعدٍ ما. والصوت يقطع في سيره في كل دقيقة من الزمان مسافة ثلاثين الف ذراع تقريباً فيكون سيره في كل ثانية من الدقيقة او نبضة شريان مُعتدلة نحو خمسمائة ذراع (١. فلو أُطلق مدفع على بعدٍ رأينا اشتعالهُ قبل ان نسمع صوتهُ بزمن يساوي بعدهُ عنّا على النسبة المتقدمة. وهكذا يكون في البرق والرعد. ثم اذا كان عدد اهتزازات الجسم في كل ثانيةٍ دقيقةٍ اثنين وثلاثين هزّة (٢ او اقلّ من ذلك فلا يُسمع الصوت ابداً كما حقّق ذلك المتأخرون من علماء الافرنج. فاذا شُدَّ وتر على قانون او طنبور ونُقر عليهِ فان اهتزّ اكثر من اثنين وثلاثين هزة في كل ثانية الدقيقة امكن سماع صوتهِ والا فلا وكلما شُدَّ اكثر زادت اهتزازته عند النقر عليهِ وكان الصوت المسموع عنهُ اعظم. واما السمع فهو ناشئ من مصادمة تموّجات الهواء الحاصلة من اهتزازات الجسم الرنّان الى آلات السمع المخصوصة بكل حيوان

(ستأتي البقيّة)

اليزيدية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

طريقة اليزيدية وعوائدهم

ان اليزيديّة يعتقدون بإلهٍ واحدٍ ضابط الكل بيدهِ كلُّ ما في السماء وكل ما على الارض ويُسمّونهُ بالكرديّة خُدا (اي الله) وبالعربية ربّ العالمين. ودونهُ الملك الطاووس (او الطاووس الملك ويسمّيهِ عامّة اليزيديّة طاووس ملَك بحذف اداة التعريف) والشيخ عادي ويزيد وهولاء ثلثتهم ليسوا إلّا إلهاً واحداً من الرتبة الثانية في ثلثة فُروع لا غير:

---

١) يعني ثلاثمائة واربعين متراً

٢) بل عشرين هزة على ما قال العلّامة هلمهولتز ولهُ الباع الطولى في كل ما يختص بالسمع. كما انهُ اثبت ايضاً ان الصوت ليس بمسموع اذا زاد عدد اهتزازات الجسم على عشرين الف هزة في الثانية